

مؤسسات التعليم الديني القرآني؛ بين أصالة الثوابت وتحدي المتغيرات

Institutions of Qur'anic Religious Education;

Between the Authenticity of Constants and the Challenge of Change

بكير حاج سعيد

Bakir HADJ SAID

المدرسة العليا للأساتذة . بوزريعة (الجزائر)، hadjsaid.bakir@ensb.dz

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/10/21

تاريخ الاستلام: 2025/07/13

الملخص: نتناول هذه الورقة إلى موضوع المدارس الدينية القرآنية ومدى تأثرها بالتغيرات المجتمعية، وسعيها الدائم إلى المحافظة على أصالتها، وهذا من خلال محاولة الإجابة على الإشكالية الآتية: ما الثابت وما المتغير في التعليم الديني القرآني؟ وما علاقته بالتغيرات المجتمعية؟

للإجابة على الإشكالية، رصدت الورقة أهم التغيرات التي مست التعليم القرآني الديني، خلال أهم الفترات التاريخية المتعاقبة، ثم عرجت بعد ذلك إلى مناقشة مدلول الثابت والمتغير ومظاهره، واقترحت مجموعة قواعد يمكن أن تكون المفصل في موضوع الثابت والمتغير، وكتطبيق عملي لموضوع الثابت والمتغير، عرضت الورقة أهم محطات التغير المجتمعي والنوازل المحرجة، التي أخرجت مؤسسات التعليم القرآني؛ بعضها يمس عمق العمل التربوي وأخرى علاقات المؤسسة بالواقع الاجتماعي، وخلصت الورقة في النهاية إلى مجموعة من النتائج، ثم بتوصيات عملية تحافظ بها مؤسسات التعليم الديني القرآني على هويتها، وتحقق غاياتها.

الكلمات المفتاح : التعليم الديني . التعليم القرآني . الثابت والمتغير . التغير المجتمعي . وادي مزاب

Abstract

This paper addresses the subject of Qur'anic religious schools and the extent to which they are influenced by societal changes, as well as their ongoing efforts to preserve their authenticity. It does so by attempting to answer the following problem: What are the constants and what are the variables in Qur'anic religious education? And what is their relationship to societal changes ?

The paper examines the most significant changes that have affected Qur'anic religious education throughout key successive historical periods. It then moves on to discuss the meaning and manifestations of constants and variables, proposing a set of principles that can serve as a reference point for distinguishing between them. As a practical application of the topic, the paper presents the most important milestones of societal change and critical challenges that have placed Qur'anic education institutions in difficult positions, some of which touch the core of educational process, while others concern the institutions' relationship with social realities. The paper concludes with a set of findings and practical recommendations to help Qur'anic religious education institutions preserve their identity and achieve their objectives.

Keywords: Religious education, Qur'anic education, Constants and variables, Societal change , M'zab Valley.

المؤلف المرسل: بكير حاج سعيد ، الإيميل: hadjbakir@gmail.com

تمهيد:

ظلت المدرسة كمؤسسة اجتماعية، تحمل عبر التاريخ هموم المجتمع وآماله، ويحملها المجتمع أفرادا وجماعات أعباء ويتخلص من خلالها على جزء من مسؤولياته، ويستعملها الوالدان كمؤسسة تدعم جهودهم أو تسندها، وأحيانا تسد الفراغ الحاصل من استقالتهم من واجباتهم التربوية، وهي إلى جانب كل هذه الأعباء والأحمال، وجب عليها التكيف مع التغيرات الحاصلة دون رضاها، طورا في المجال الاقتصادي وطورا في المجال الاجتماعي وطورا آخر أخطر في مجال المعتقدات والقيم.

تتناول هذه الورقة موضوع المدارس القرآنية ومدى قدرتها على مواكبة التغيرات والمحافظة على أصالتها، من خلال محاولة الإجابة على الإشكالية الآتية: ما الثابت وما المتغير في مؤسسات التعليم القرآني؟ والتي تنفرع منها أسئلة فرعية هي كالاتي:

1. ما العلاقة بين التغير الاجتماعي والتغيير التربوي؟
2. ما المتغيرات الاجتماعية التي مرت بها المدرسة القرآنية؟
3. ما المقصود بالثابت والمتغير في التعليم القرآني؟ المصطلح والأثر
4. ما محطات الاضطراب التي مرت بها المدارس القرآنية؟

تستمد الورقة أهميتها من أهمية مؤسسات التعليم القرآني في مجتمعاتنا المسلمة، وما تعانيه من تحديات جزاء التقلبات الكثيرة التي تعيش وسطها؛ إن على المستوى السياسي والاقتصادي أو على المستوى الاجتماعي والفكري، وما انعكس إن على المستوى المناهج والمضامين، أو على مستوى الطرق والوسائل، وهذه التقلبات تشكل تحدّ بالنسبة لهذا من أجل البقاء ومن أجل مواصلة رسالتها وبلوغ أهدافها.

تهدف هذه الورقة إلى:

- تبيان العلاقة الوطيدة بين التغيرات الاجتماعية والفعل التربوي داخل مؤسسات التعليم القرآني
- الوقوف على أهم الثوابت التي ينبغي على مؤسسات التعليم القرآني التثبيت بها والمحافظة عليها
- التعرف على أهم المتغيرات التي يمكن أن تكون فرصة لتطوير مؤسسات التعليم القرآني لا لانكفائها أو

اندثارها

ضبط وتحديد: المدارس القرآنية موضوع هذه الورقة، هي المدارس القرآنية في وادي مزاب تحديدا، والتي تشمل نوعين من التعليم: **مسائي** للتعليم القرآني وما ارتبط به من العلوم الشرعية واللغوية، و**صباحي**، وهو يستقبل

المتعلمين سائر اليوم يتلقون تعليما عاما وفق المناهج الرسمية المعتمدة من وزارة التربية في الجزائر، بالإضافة إلى مواد شرعية وأخرى متعلقة بالهوية وساعات لحفظ القرآن الكريم، فهو تعليم عام لكن له بصيغة شرعية، وهي مؤسسات تعمل دائما بترخيص من الوصاية.

1. العلاقة بين التغير الاجتماعي والتغيير التربوي:

ما المقصود بالتغير الاجتماعي؟ هي: "الاختلافات التي تظهر على ظاهرة اجتماعية في فترة زمنية معينة والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها وهي تحدث بفعل عوامل داخلية وخارجية" (حامد، 2018، صفحة 145)، فهو سلوك ديناميكي يقوم به مجموعات من الناس داخل المجتمع بشكل عفوي، سعيا وراء تلبية حاجاتهم المادية أو المعنوية.

ما المقصود بالتغيير التربوي؟ هو استجابة مقصودة مخططة للتغير الذي يقع في المجتمع، يقوم به نخبة المجتمع عن طريق المؤسسات التربوية، بقصد المحافظة على مقومات المجتمع وخصوصياته، أو بقصد تعديل سلوكات أو أفكار تهدد هذه المقومات.

ما الفرق بين التغير الاجتماعي والتغيير التربوي؟

التغير الاجتماعي	التغيير التربوي
عملية ديناميكية تلقائية	عمل إرادي مقصود (مخطط منظم)
يقوم به الناس جماعات بصفة عفوية	تقوم به المؤسسات التربوية بإرادة وقصد

الأصل: هو التغير والاستثناء هو الاستقرار (لو كانت الأمور كلها مستقرة لبقينا إلى الآن نسير على أرجلنا وندرس على الحصير)، فالتغير الذي يحدث في المجتمع، هو دليل على حياته وحيويته، ويدفع دوما إلى مزيد من التغيير التربوي، والتغيير التربوي المقصود، إنما يسعى دائما إلى الحفاظ على أصالة المجتمع وهويته، ويسعى بالتبع أيضا إلى تلبية الحاجات المتزايدة والمتغيرة لأبنائه، فيكون التغيير التربوي محاصرا بين مطرقة التغيرات الواقعية وسندان ثوابت المجتمع وهويته.

2. أهم المتغيرات المجتمعية التي عايشها التعليم القرآني في مزاب:

التعليم القرآني ليس بمنعزل عن التغيرات المجتمعية كما أسلفنا، وبالتالي فإن أي تغير يقع داخل المجتمع يلقي بظلاله على التعليم القرآني، وفيما يلي، نذكر أهم التغيرات التي عايشها التعليم القرآني وأثرت فيه بصفة مباشرة، وقد قسمت حسب بيئتها السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية أو التربوية.

2. 1 البيئة السياسية:

1. دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر سنة 1830
2. معاهدة الحماية مع الحاكم العسكري الفرنسي بداية من سنة: 1853م
3. ضم منطقة مزاب تحت الحكم العسكري الفرنسي بداية من سنة: 1882م
4. استقلال الجزائر و بروز الدولة الحديثة: 1962م، وظيفة الدولة أنها تنظم العمل وتحمي الأفراد والجماعات وبالتالي تتدخل في الحياة "الخاصة" للأفراد والجماعات
5. الميثاق الوطني سنة: 1976م
6. التعددية السياسية والثقافية والانفتاح الاقتصادي سنة 1988م

2. 2 البيئة الثقافية:

1. سقوط الخلافة الإسلامية، وما تبعه من بروز الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي
2. انحسار الأمية واتساع قاعدة المتعلمين
3. إعادة النظر في تعليم البنات، فبعدها كان محظورا أصبح مطلوبا. فسابقا، "رأى المجتمع في السماح للمرأة بتعلم القراءة والكتابة فتحا لطريق أمامها، قد يكون سببا في خدش كرامتها أو مس شرفها، الذي هو من كرامة المجتمع وشرفه، وذلك بإمكانية اتصالها بالعامل الخارجي، وبمجتمع الرجال عن طريق مراسلات أو كلمات تتحدر بها إلى المكروه والمحذور" (قاسم، 2017، صفحة 20).
4. الانفجار الإعلامي الكبير، وما حوّل المنطقة كلها إلى مكبّ للكثير من البرامج الثقافية والإنتاج الإعلامي، من برامج وأفلام ومسلسلات تصاغ وفق ثقافات أجنبية، ثم تدخل إلى كل البيوت، ليتعاطاها أفرادها كبارا وصغارا رجالا ونساء.
5. الثورة الرقمية، و التحول الذي نتج عنه من الواقع الفعلي إلى الافتراضي الرقمي، وذلك ابتداء من أبسط العلاقات الثقافية إلى أعقد المعاملات التجارية والإدارية، وما انجر عن ذلك من سقوط حواجز السلطة المادية المجتمعية والأسرية وحتى السياسية، ومنها إمكانية التعامل المباشر للأفراد مع العديد من المواضيع الثقافية والتعليمية، دون الحاجة إلى رخصة أو إذن أو رقابة أو تنقل فعلي مادي.

2. 3 البيئة الاجتماعية:

1. اتساع الحرية الفردية مقابل الواجبات الجماعية والانقياد إلى السلطة الاجتماعية

2. توجه الأفراد إلى المحاكم المدنية مقابل التوجه إلى الصلح داخل الهيئات العرفية
3. بروز الرفاه المادي والطفرة المالية، وبالتالي التنافس المادي
4. بروز أدوار اجتماعية جديدة للمرأة، داخل البيت وخارجه، فكل مسؤولية إضافية منجزة عن تقاعس الرجل أو استقالته، إنما هي في النهاية مزيد من الاستقلالية ومزيد من الحرية.
5. التوسع العمراني الرهيب، على المستوى المحلي أو الوطني، فبعدما كان الساكنة محصورون في منطقة جغرافية محدودة، أصبحوا موزعون في مناطق جغرافية شاسعة، داخل بلاد الشبكة وبمحاذاة القصر القديم، أو خارج الوادي في مختلف مدن الوطن، ازداد ذلك أكثر مع استقرار الكثير من الأسر خارج وادي مزاب بسبب المشاريع الاقتصادية المتزايدة.

6. النمو السكاني الكبير، المتزايد والمتسارع دائما

جدول يبين تعداد سكان ولاية غرداية، حسب السنوات

(عميرة، 2011، صفحة 191)

السنة	1966	1977	1987	1998	2008	2019	2030
العدد	103.730	162.486	217.474	311.678	359.609	477.953	531.867

7. غرداية أصبحت مدينة كبيرة في التجارة والاستثمار ورؤس الأموال، ومحورية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، تستقبل آلاف المواطنين من كل الولايات للاستقرار، بسبب العمل أو الاستثمار أو الزواج
8. الامتزاج السكاني الكبير كان بني مزاب الأكثرية المطلقة، أصبح بنو مزاب أقلية وازنة في الولاية
9. استقرار الكثير من العائلات المزابية في مختلف مدن الوطن بهدف التجارة، وفي غياب إحصاء فعلي لهذه العائلات، يمكن التقرب من المدارس القرآنية لمعرفة أرقام تقريبية، فعدد التلاميذ في المدارس القرآنية بالعاصمة وضواحيها، الذي كان لا يجاوز الألف أو أقل في بداية القرن الواحد والعشرين، اخترق اليوم حاجز سبعة آلاف تلميذ وتلميذة، والأبناء مؤشر قوي لإحصاء الأسر.
10. الانفجار الكبير لثورة الإعلام والتواصل بين الجميع، مختلف الأعراق والمذاهب والأديان وبين الجنسين

11. تغير المركز الاجتماعي للعديد من الأدوار الاجتماعية، صعودا ونزولا، مثل رجل الفقه والدين، والزوج، والجد والأم والأخت، والمعلم، ورجل الأعمال، والناشط الاجتماعي، والمؤثرين المشهورين، يحتاج إلى مراجعة وتحديث.

2. 4 البيئة التربوية:

1. النزعة النفسة والإنسانية التي عمّت المشاريع التعليمية في العالم، مع بداية القرن الثامن عشر إلى الآن، والانتقال الذي نتج عنه من التعليم الصعب المرعب إلى التعليم الممتع المريح.
2. الانتقال من الاقتصاد فقط على حفظ القرآن الكريم والمواد الشرعية إلى المواد الخادمة للشيعة والنافعة للمتعلم والمجتمع، وما الصراع الحاد بين الشيخ أبي اليقظان من جهة والشيخ حاج صالح لعلي من جهة مقابلة، [وكلاهما من تلامذة القطب الشيخ اطفيش] إلا مثال واضح على هذا.
- يقول الشيخ إبراهيم الحاج أيوب القرادي، عن تحول التعليم في وادي مزاب من حفظ القرآن فقط، إلى علوم أخرى داعمة ونافعة: "قبل أن يقع إصلاح التعليم بإدخال المواد العلمية في التعليم الابتدائي، كانوا لا يسمحون لأي تلميذ أن يتعلم أي علم حتى يفرغ من حفظ القرآن الكريم، ولما ابتلي الناس بالهجرة وصاروا يأخذون أولادهم في سن مبكرة إما للعمل أو للتعليم في مكاتب التل التي كانت أرفع مستوى . نسبيا . من المكاتب التي أنشئت في ميزاب، رأى القادة المصلحون أن الأولاد يسافرون ومعهم قسط لا بأس به من القرآن ولكنهم لا يعرفون عملية حسابية ولا تحرير رسالة فقرروا إدخال المواد العلمية مع القرآن في المرحلة الابتدائية، حتى إذا ما انقطع أحد الأبناء عن التعلم، كان له حظ ومشاركة ابتدائية في جميع المواد، ومن بقي منهم يستمر في حفظ القرآن قبل دخول الثانوية" (القرادي، 2009، صفحة 65).
3. انتقال التعليم من المساجد وبيوت المشايخ إلى مدارس عصرية، وهي مقارن خاصة بجوار المسجد أو بعيدة عنه، بنيت خصيصا للتعليم، والعصرية تعني إشارات منها:

- إضافة مواد أخرى غير العلوم الشرعية، مثل الحساب والمنطق واللغة واللغات الأجنبية، وعدم الاكتفاء بالمتون
- تخصيص أساتذة متمكنين حسب مؤهلاتهم لكل مادة، وعدم تدريس الأستاذ لكل المواد
- تطوير الأساليب لتشمل تحبيب التعليم للطفل، والحوار والنقاش وعدم الاكتفاء بالحفظ فقط
- استعمال الطاولات والسبورة كوسائل حديثة في التعليم
- تقسيم المتعلمين إلى مستويات منسجمة وعدم جمع الكل في فوج أو مستوى واحد

جدول يبين نماذج من المدارس التي كانت في بيوت الأساتذة، أو تنسب إليهم

(جمع الباحث المعلومات من عدة مراجع)

الشيخ	البلدة	تاريخ الميلاد والوفاة
الشيخ محمد بن يوسف اطفيش	بني يسجن	1914 . 1820
الشيخ الحاج إبراهيم لبريكي	القرارة	1911 . 1857
الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي	العطف	1922 . 1837
الشيخ الحاج عمر بن يحيى	القرارة	1921 . 1882
الشيخ إبراهيم بن بكير حفار	القرارة ثم بني يسجن	1954 . 1890

جدول يبين نماذج من المدارس العصرية وتأسيسها في وادي مزاب

(جمع الباحث المعلومات من عدة مراجع)

المدرسة	البلدة	تاريخ التأسيس
مدرسة أبي اليقظان	القرارة	1915
مدرسة الرشاد	مليكة	1922
مدرسة الحاج عمر بن حاج مسعود	القرارة	1923
معهد الحياة	القرارة	1925
مدرسة الجابرية	بني يسجن	1927
مدرسة الفتح	بريان	1927
مدرسة الإصلاح	غرداية	1932
مدرسة النهضة	العطف	1932
مدرسة النور	بنورة	1945
مدرسة الثبات	بنورة	1947
مدرسة غرداية "عمي سعيد حاليا"	غرداية	1958
مدرسة النصر	مليكة	1960
مدرسة أبي سالم	العطف	1969

معهد عمي سعيد	غرداية	1973
معهد الإصلاح	غرداية	1979

4. بروز المدرسة الجزائرية المستقلة، وبالتالي حملت العبء الكبير الذي كان يقع على المدارس القرآنية، خصوصا ما تعلق بمحو الأمية من جهة والمحافظة على الهوية بمكوناتها الأساسية الدينية والوطنية واللغوية من جهة، وهو ما عبرت عنه جمعية العلماء "الإسلام ديننا والجزائر وطننا والعربية لغتنا"، فانتسعت دائرة المتعلمين وانتشرت اللغة العربية وترسخت الروح الوطنية، وبعدما كان هناك تعارض صارخ بين التعليم الفرنسي والتعليم العربي الإسلامي، أصبح هناك تكامل وتعاقد بين التعليم القرآني والتعليم الرسمي العمومي، وطبعا لا يخلو هذا التعاقد من تنافس أحيانا وتداخل أحيانا أخرى أو تشاكس.

5. القرارات السياسية التي مست مؤسسات التعليم في وادي مزاب:

- القانون الفرنسي 18 أكتوبر 1892
- القانون الفرنسي 8 مارس 1938
- الميثاق الوطني وقرار تأميم المدارس الحرة 1976 ثم التراجع عنه
- منع المعاهد الحرة الثلاثة من المشاركة في الامتحانات الرسمية ثم التراجع ثم الترميز 2001
- قانون المدارس الخاصة، واستثناء المدارس الحرة منه بقرار 2004
- المطالبة باعتراف رسمي بالمدارس الحرة 2014
- ضم المدارس الحرة إلى الأرضية الرقمية الوطنية لوزارة التربية الوطنية 2019 واعتبارها مؤسسة معترف بها فعليا

6. اتساع رقعة مدارس التعليم القرآنية للجمعية الواحدة، فبعدما كانت الجمعية تدير مدرسة واحدة بأربعة أو خمسة معلمين أو أقل، أصبحت تدير فروعا بمئات الإطارات التربوية والإدارية، وآلاف التلاميذ، والمقام لا يسمح بتقديم الإحصائيات حول تطور أعداد المتعلمين، وتوزع المدارس جغرافيا.

يظهر من كل ما تقدم، الكم الهائل من التغيرات التي عايشتها المدارس القرآنية، وتأثرت بها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهي كثيرة ومتنوعة، كان لابد أن تترك أثرا؛ إما إيجابيا أو سلبيا أو دافعا إلى المزيد من الفعالية وحسن التسيير. وجب بعد كل هذا التعرض إلى موضوع الثابت والمتغير، ما مدلوله؟ وما أثره؟

3. مدلول الثابت والمتغير:

قبل الدخول في تحديد موضوع الثابت والمتغير، لابد من وقفة حول المفهوم والمقصود من الثابت والمتغير. هل هي صفة أم موضوع؟ الثابت أو المتغير صفة لا موضوع، إذ هو صفة لأمر معين أو ذات معينة، فهي خارجة عن ذاته، لهذا يمكن أن يعتبر الشيء ذاته، ثابتاً لدى البعض متغيراً لدى البعض، معنى هذا أننا لا نجد في الموائيق والأدبيات شيئاً يسمى متغيراً وآخر يسمى ثابتاً، بل نجد أموراً توصف بالثبات وأخرى توصف بالتغير أو القابلة للتغير.

3. 1 الثابت:

3. 1. 1 ما المقصود بالثواب؟

الثابت: عكس المتغير والمتحول، هو المحافظ على كينونته وجوهره دون تغير أو تحول، وهو جزء لا يتجزأ من كينونة الشيء بل هو جوهره، ويشكل هويته، وإذا ما فصلناه أو نزعناه تغيرت ذات الشيء، مثل العجلات في السيارة أو الجذع من النخلة أو الرأس من الإنسان، فهو الجزء الذي يدخل في تكوين الذات ولا ينفصل عنه، فكلما كان الأمر متعلقاً بذات الشيء ومكوناً له عدّ ثابتاً.

كذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات والهيئات والشرائع والأديان، فنجد في الإسلام أركان الإيمان؛ كقول الله عز وجل: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ . آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ"، وأركان الإسلام، ونجد في الصلاة وفي الحج الأركان؛ كقول الرسول (ص): "الحج عرفة"، ونجد في الجماعات المبادئ والغايات؛ كقول الرسول (ص): "من غشنا فليس منا"، وكقوله: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"، وتحدد الجماعات عادة مبادئ تميزها عن غيرها، تسميها رسالة أو تسميها قيماً ومبادئ، تلزم بها أعضائها وتعرف بها نفسها أمام الآخر، فتتميز تلك الجماعة أو ذلك المجتمع بتلك المحددات، التي يقع بها التعريف فتعدها هويتها الأساسية، ولم يصبح هذا الأمر خاصاً بالأديان والمجتمعات والأوطان، بل تعداها إلى المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية.

فكل ما يشكل ذات الشيء ويدخل في تشكيل هويته وجوهره نسميه اصطلاحاً "ثابتاً"، وما سوى ذلك لا يدخل في تشكيل الهوية أو تكوين الذات لا يأخذ هذه الصفة.

3. 1. 2 ماذا يمكن أن نحصي كثواب؟

انطلاقاً من هذا التعريف، الذي يمكن أن نحصي في التعليم القرآني ما يتصف بالثبات، ما يلي:

أولاً: الغايات التي تسعى إليها المدرسة الحرة

الغَايَةُ: مَدَى الشَّيْءِ. والغَايَةُ أَقْصَى الشَّيْءِ ... وَغَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَاهُ، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَوْلُ النَّاسِ هَذَا الشَّيْءُ غَايَةً، مَعْنَاهُ هَذَا الشَّيْءُ عَلَامَةٌ فِي جَنْبِهِ لَا نَظِيرَ لَهُ أَخْذًا مِنْ غَايَةِ الْحَزْبِ، وَهِيَ الرَّايَةُ" (منظور، 2024)، وهو نهاية ما يسعى إليه الإنسان أو المؤسسات أو المجتمع، والمقصود هنا بغايات التعليم القرآني نهاية ما تهدف إليه وترمي إليه، ونحن إذ نتحدث عن غايات التعليم القرآني لا بأس أن نورد على سبيل المثال غاية من غايات المنظومة التربوية الوطنية، حيث ينص القانون التوجيهي للتربية في إحدى غايات التربية الوطنية على ما يلي: "تكوين جيل متشبع بمبادئ الإسلام وقيمه الروحية والأخلاقية والثقافية والحضارية" (الوطنية، 2008، صفحة 46). ونورد هنا مجموعة من الغايات حددها المؤسسون الأوائل للتعليم القرآني العصري، بعد انتقاله من بيوت المشايخ إلى مؤسسات قائمة بذاتها.

1. الحفاظ على الصبغة الإسلامية الإباضية:

كان السعي إلى تحقيق ذلك، أكبر ما دفع الشيخ الحاج صالح لعلّي، إلى فتح مدرسة قرب المسجد، فلقد تأثر: " كثيرا بتدريس أبناء بلدته في المدارس الرسمية الفرنسية، وبخاصة عند صدور القانون الفرنسي في 18 أكتوبر 1892 القاضي في بنده 55 بعدم قبول التلاميذ في المحاضر في أوقات المدرسة الفرنسية، ففرنسا كانت تضغط على الجزائريين لتعليم أبنائهم في مدارسها، وهذا يعد جريمة عند أمثال الشيخ صالح لعلّي الرافض لتعليم أبناء المسلمين عند مخالف المذهب الإباضي فكيف الأمر بتعليمهم عند غير المسلمين، لا بد أن هذا يتعارض مع طبيعة تفكير الشيخ، فلا بد من بديل ينافس هذه المدارس" (بن دريسو، 2014، صفحة 122).

ويشير الشيخ أبي اليقظان إلى هذا متحدّثاً عن غايات البعثات العلمية: "إنما أسسنا البعثة تحت تأثير ودوافع الحاجة الملحة إلى ذلك لما توجسنا من تطورات الحياة وشيكا، بما تدفع إلى ميادينها الزاخرة أبناء المدارس والكليات والجامعات، وخشينا نحن من الذوبان وتلاشي كياننا، بصفقتنا أمة لها كيانها وطابعها الخاص في الميدان الاقتصادي والاجتماعي بالقطر الجزائري شمالا وجنوبا، نحن نعد أنفسنا قد تأخرنا بيقظتنا عن الوقت اللازم" (ناصر، تاريخ صحف أبي اليقظان، 2003، صفحة 14).

والى نفس الغاية يشير سعيد شريقي الشيخ عدون عند تأسيس معهد الحياة، بأن الغاية الكبرى من التعليم هي الصلاح والارتباط بالله تعالى والسعي إلى نيل مرضاته، يقول في هذا الشأن: "قالمواد والفنون التي يزاولها الطالب ويتعاطاها إنما هي وسائل وبواعث يتدرج بها ليكون رجلا تقيا صالحا، مؤهلا للدخول في ميادين الحياة أيا

كان نوعها، مجاهدا في سبيل الله طالبا لرضاه ليعيش حياة طيبة أرادها الله له في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" (شريفي، 1989، صفحة 68).

والى نفس المعنى يشير بدقة أكثر، حينما يجعل الغاية نوعان، عامة وخاصة، فيقول: "إن الغاية التي يجب أن يجعلها المتعلم نصب عينيه نوعان: عامة: وهي طلب رضا الله تعالى، وشرف العلم نفسه، ونفي الجهل عنه" (شريفي، 1989، صفحة 57)، طبعاً يقصد هنا الشيخ بالغاية، الأولى والكبرى والنهائية التي لا تغيير فيها ولا تبديل، وهو نيل مرضاة الله تعالى وصبغ الحياة بالإسلام في كل نواحيها.

2 . اكتساب أساسيات العلوم الشرعية:

وهو التطبيق العملي للغاية الأولى الأساسية، ويقصد هنا التفقه في الدين وخصوصاً فيما لا يسع المؤمن جهله من أمور الدين، بل وأكثر من ذلك إعداد الفقهاء والعلماء الذي يتمكنون من العلم الشرعي وينبرون الطريق للناس، مصداقاً لقوله تعالى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (التوبة 122)، يحدد الشيخ عبد الرحمن بكلي البكري، غايات تعليم البنات، فيقول: "الرأي السديد عندي، أن البنات المسلمة تُعلم وتثقف ثقافة علمية دينية، ويبلغ بها أقصى ما يخولها استعدادها إلى أن تصبح عالمة كما كانت سالفاتها الصالحات، أمثال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي كانت مرجعاً من المراجع الدينية للصحابة حتى العالمين منهم" (البكري ع.، 2004، صفحة 258).

والى نفس عناصر الهوية تشير وثيقة مؤسسة الشيخ عمي سعيد (عمي سعيد، 2023)، إلى غايات التعليم، وتحددها فيما يلي:

- استيعاب الأصول الفكرية للمدرسة الإباضية، والاسترشاد بتراثها العلمي والحضاري.
- ترسيخ مبدأ الوحدة بين المسلمين وبث روح التسامح بينهم، وترشيد منهج الاختلاف بتحري الحق والثبات على الأصول والمرونة والتسامح في الفروع.
- تعميم الثقافة الشرعية، وتمكين الوعي الديني والخلقي في الأوساط

3 . الفعالية الاجتماعية:

يذكر الشيخ البكري عن غايات البعثات العلمية في بدايتها، والدوافع التي كانت سبباً في التفكير فيها والمضي في طريقها، قائلاً: "فشعرت إذ ذاك بشدة حاجتها إلى عدة الكفاح، وهو التزود بالعلم الصحيح في صبغته الحديثة، والتمرس بالعناصر الفكرية الحية خارج حدود الوطن، لتأليف جيش مثقف يحمل راية الكفاح عن جدارة

واستحقاق، وإيجابه الحياة عن دراية وخبرة، ويستغلب على مشاكلها بسلاح العلم وقوة العقيدة، فأرسلت البعثات إلى تونس" (البكري ع.، 2004، صفحة 90).

ويذكر الشيخ عودن، غايات التعليم التي تأسس من أجلها معهد الحياة، قائلا: "إن الغاية التي يجب أن يجعلها المتعلم نصب عينيه نوعان: عامة ... خاصة: وهي تكوين الملكات العلمية في مختلف الفنون وتنقيف العقل وتنوير الذهن، وتربية النفس، تربية صحيحة وإعدادها لتحمل قسط من عبء الإصلاح الديني والملي الوطني، فإن الدين والملة والوطن تطلب منا رجالا أكفاء للعبادة والقضاء والعدالة والوكالة والنيابة والإفتاء والتدريس والكتابة والخطابة والشعر ونحو ذلك، من الأعمال الجليلة والمشاريع العظيمة والإصلاحات العامة" (شريقي، 1989، صفحة 57).

4. المحافظة على الخصوصية الاجتماعية:

نجد في مؤسسة عمي سيعد الإشارة إلى اللسان الأمازيغي، وهي الإشارة الوحيدة التي لاحظتها، ومع أن الوثيقة جديدة، إلا أن التصريح والتحديد، يؤكد أهمية العنصر في التكوين داخل المؤسسة، فنقول الوثيقة: "المحافظة على اللسان الأمازيغي، واستثمار أدبه وتراثه لخدمة الأبعاد التربوية، وترسيخ مقومات الهوية المزابية" (عمي سعيد، 2023).

من خلال النصوص السابقة، وأفكار أخرى مستقرة في نفوس الأساتذة والآباء والطلبة، ومن خلال الكثير من المناهج والبرامج والأنشطة، ويمكن أن نجمل غايات التعليم القرآني فيما يأتي:

1. ترسيخ الإيمان بالله تعالى وحب رسوله (ص)، والالتزام بتعاليم الدين، اعتقادا وقولا وعملا.
2. حفظ نصيب من القرآن الكريم
3. معرفة الأساسيات من العلوم الشرعية، لعبادة الله تعالى حق العبادة والابتعاد عن الشرك والمنكرات
4. إعداد المواطن الصالح النافع لمجتمعه ووطنه
5. إعداد المتعلمين للأدوار المستقبلية في المجتمع
6. إعداد البنات للاقتدار في دورها الأسري خصوصا والاجتماعي عموما
7. الحفاظ على مكونات الهوية الاجتماعية والمذهبية

ثانيا: المبادئ والأسس:

يُقصد بالمبادئ والأسس، الحدود والخطوط الكبرى التي يلتزم بها المؤسسون للمدرسة، ويعملون جاهدين على احترامها أثناء أي عمل أو برنامج أو وضع أي منهاج، ويمكن أن نعدّ منها بعض الأمثلة الآتية:

أ. الأساس الوطني والديني:

يقول الشيخ أبو اليقظان مبينا أسس البعثات العلمية التي أسسها في تونس: "إن الأسس التي قامت عليها هذه البعثات العلمية إسلامية وطنية تعتر بالأصالة وتفتتح على الثقافة الأجنبية" (ناصر، القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب، 2016، صفحة 77).

ب. أساس وحدة المجتمع والولاء للنظام الاجتماعي والهيئات العرفية:

يقول الشيخ بيبوض عند بداية التفكير في تأسيس معهد الحياة، والانقطاع عن حلقة الشيخ حاج عمر بن يحي، مبينا حرصه على وحدة المجتمع ورجالاته وانسجام مؤسساته، "فهناك وشائج جهدت الحوادث والأيام والمشائخ قبلهم في ربطها وتوثيقها يتعذر قطعها، وهناك عشائر عقدت وأصرها المصلحة العامة يخشى انقطاعها" (شريقي، 1989، صفحة 48).

ج. الخصوصية الإباضية في إطار الدين الإسلامي:

جاء في البطاقة التعريفية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد، تنبيهها وتحريضا على الاهتمام بخصوصية المجتمع والمذهب ما يلي: "المذهب الإباضي مدرسة من المدارس الإسلامية العريقة التي أثرت إيجابيا في مسار الحضارة الإسلامية، وامتازت بربط الصلة بين التعاليم الشرعية والواقع المعيش" (عمي سعيد، 2023).

د. التزام الشرع:

ويقصد به هنا مراعاة الشرع في كل قرار أو اختيار، ولا ريب فهو الأساس الذي من أجله وجدت المدارس القرآنية، هنا يقول الشيخ البكري: "نحن لا نعاكس تعليم البنات ما دام في حدود الدين، وما دامت في حصانة مما يفسد عقيدتها وأخلاقها وسلوكها، وما دام ذلك لا يصدها عن القيام بوظيفتها الإنسانية الكبرى التي هيأها الله لها؛ وظيفة الأمومة" (البكري ب.، 2003، صفحة 258) (البكري/ ص 258-262).

هـ. أساس المعلم القدوة:

نجد دور المعلم واضحا وجليا في التعليم القرآني، حيث يهتم باختياره وكونه أساس من أساسات المدرسة، ويراعى شرط القدوة أحيانا قبل الكفاءة العلمية، وانلزامه الديني والأخلاقي قبل تفوقه العلمي، "إن ألدّ عدو للأستاذ والمتلقين حوله من دعاة الإصلاح، هو من ينتسب إليهم بقوله ويدعو إلى تعاليمهم بلسانه، ولكن يخالفهم في أعماله بسوء السلوك وفساد السيرة" (شريقي، 1989، صفحة 78).

ونرى إلحاح الكفاءة الأخلاقية والولاء الفكري، تفرض نفسها دائما، خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بالصفوف الأولى من القيادات، فهذا الشيخ الحاج صالح لعلّي، أوكل تسيير المعهد الجديد إلى خلفه وتلميذه الشيخ محمد بن يوسف ببانو وهو من خريجي البعثات التونسية، وقد عاد منها فقط لأنه مقتنع بفكر شيخه ونزولا عند طلب والده، إلا أن ذلك الانتساب إلى الزيتونة وتخرجه منها، لم يمنع الشيخ من أن يجعله محل ثقته، اطمئنانا إلى ولائه وثقة في نصرته لأفكاره التي كان يدعو إليها، واستفادة من خبرته في الاحتكاك بالبعثات ونهجها في التدريس، "إن مدرسة الشيخ صالح لعلّي تأسست في 1927 ... والحدث البارز المتزامن مع هذا التاريخ هو عودة الشيخ محمد بن يوسف ببانو من تونس والزيتونة استجابة لطلب والده المقتنع برأي الشيخ صالح لعلّي المعارض للتعليم عند غير الإباضيين، فرجع بعدما قضى فيها أربع سنوات ناهلا من علم غزير لعلماء أجلاء، ومحتكا بطلبة من مختلف الأصقاع" (بن دريسو، 2014، صفحة 123).

و. البعد الاجتماعي لا النخبوي:

المقصود هنا أن تعمل المدرسة على استيعاب أكبر قدر ممكن من أبناء المسلمين، تعمل جاهدة على أن تكون مؤسسة من مؤسساته الاجتماعية، تنقل المعرفة والقيم من جيل إلى جيل، لا نخبوية تختص بفئة دون أخرى، بل وعلى الرغم من أنها يمكن أن تخصص في الاستقبال وتوزع وتقسّم المتعلمين وفق ما تراه مناسبا، لكن لا يمكن أن تمنع فئة من فئات المجتمع من الاستفادة من التعليم، لأسباب مادية أو اجتماعية أو غير ذلك.

ثالثا: المضامين الأساسية

نقصد بالمضامين، تلك المناهج والمقررات التي تضمن للمدرسة صبغتها الإسلامية وخصوصيتها الإباضية المزبانية، تضمن لها ارتباطها بقيمها الدينية والاجتماعية، إذ إن كل مدرسة إنما هي نتاج تفكير أصيل مرتبط بالمجتمع، وسعي مجتمعي إلى استمراره وديمومته، لا شكلا ولونا، بل قيما وخصوصية وتميزا، يقول الله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم 30).

والأصل في المضامين أنها في دائرة المتغيرات، إلا أن المقصود هنا المضامين الأساسية التي تجسد هوية المدرسة وميزتها، وهو كل المواد المتعلقة بالدين والوطن والمجتمع، تظهر خصوصياته وتعمل على غرسها وتنميتها لدى الأجيال، تظهر هذه الخصوصية الاجتماعية في تعليم البنات فيما أشار إليه الشيخ البكري مبررا للانطلاق في تعليم البنات رغم المعارضة الشديدة للبعض، "أما المسلك الوسط فهو أن ندخلها المدرسة ونعلمها مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ونلقن لها بعض الحرف اليدوية وتبدير شؤون المنزل، ونزودها بباقة من الأخلاق الإسلامية

والآداب الشرعية في مرحلتها الأولى؛ من سن السادسة إلى أن تستكمل الثانية عشرة، هناك إذ تدخل الثالثة عشر ويتحقق بلوغها غالباً، تنتقل بها من المدرسة إلى معهد النساء حيث يتلقين دروساً ثقافية في أحكام الطهارة والعبادات، وشيئاً من حقوق الأزواج وآداب المعاشرة وما يهيئهن ليكن زوجات طاهرات فأمهات صالحات مربيات" (البكري ب..، 2003، صفحة 262).

وليس المقصود بالمضمون، المواد التي ترتب في يوم هنا أو يوم هناك، ولا المواد التي تساعد الإنسان على تلبية احتياجاته المادية أو الاجتماعية أو النفسية، بل المقصود بها تلك المضامين التي تجعل الإنسان متميزاً عن غيره في الدين، وعن غيره من الأوطان، ومتميزاً عن غيره من المجتمعات، إذا المدرسة انعكاس للمجتمع وتجسيداً لثقافة وقيم ومعتقدات وعادات وأعراف، هذه الصبغة التي وجب أن تظهر في المناهج على اختلاف وافتراق، في عدد المواد وحجم الساعات، إنما الضرورة تقتضي الوجود والاهتمام، فهي المواد التي تحافظ على الهوية بكل أبعادها.

- القرآن الكريم
- العلوم الشرعية
- الهوية والخصوصية، وهي كل المواد المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي وهيئاته ومؤسساته وأنظمتها، وكذا ما يتعلق باللسان المزاي وتراثه، وكذا أعراف المجتمع وعاداته

أما ما يتعلق بخصوصية المذهب سواء كانت في العقيدة أو الفقه فإنما تظهر في العلوم الشرعية.

3.1.3 ما فائدة الثابت؟

تحديد الأمور الثابتة تعود على المؤسسات التعليمية بأمرين اثنين على الأقل:

أ. تحديد الثوابت يضمن أصالة الشيء والمحافظة على هويته، والضمان هنا لا يُقصد به الأشكال والرسوم والرموز، إنما يقصد به الرسالة التي وجدت من أجلها المؤسسة، وكذا الغايات التي تسعى من أجلها، فتبقى الصبغة الإسلامية والروح الوطنية والخصوصية الاجتماعية، أبداً ما بقيت هذه الثوابت، بل هي تساعد على ذلك، فكأنها تضع لها الحدود التي يجب أن تقف عندها رغم نكبات الدهر وإغراءات العصر، تبقى ثابتة ثبات الجبال أمام الرياح والأمطار وتقلبات الأجواء.

ب. يضمن أصالة الشيء والحفاظ على هويته وتميزه عن غيره، فإن تحديد الهوية الدينية والفكرية والاجتماعية للمؤسسة، يسهل على القائمين الفصل في كل المواضيع المستجدة والنازلة ومراجعتها، فإن الأمور الثابتة لا تقبل المراجعة، عكس غيرها من المواضيع، ويُطرح هذا الأمر خصوصاً:

• لدى الجيل الثاني من مجالس الإدارة واتخاذ القرار الذين لم يعيشوا المشروع في بداية تأسيسه، وبالتالي لم يكونوا على علم أو على قناعة تامة بالغايات والأسس التي كانت موضوع التأسيس، وبالتالي تحديد الثوابت يساعد على اتخاذ القرار بسهولة وعلى الفصل دون تردد.

• لدى الموظفين الجدد، والذين عادة ما يتم توظيفهم لكفاءتهم العلمية أو القيادية، لكن الخلفية الفكرية ليست منسجمة مع غايات المؤسسة ومنطلقاتها أو على الأقل غير معروفة لديهم، فإن تحديد الثوابت، يساعد هذه القيادات التربوية أو الإدارية على مسايرة توجه المؤسسة أو على الأقل الانسجام معها وعدم الصدام.

ج. الأصل في الثابت أنه محل اتفاق وإجماع، وبالتالي يساعد المجتمع على الاتفاق على الغايات الكبرى والمنطلقات الأساسية، وترك الأمور الأخرى لتكون مساحة اختلاف مسموح، ومجال تنوع وتنافس محمود، إلا أن المشكل ليس في صياغة النص، إنما المشكل في تأويل النصوص وتأويل النوايا، ولو أن النصوص المحددة تساعد كثيرا على تقليص مساحة الاختلاف، أو على الأقل تهذيبه وعدم جعله ميدان صراع وصدام، ولو سلم نص واضح من التأويل لسلم النص القرآني، ولكنه لم يسلم.

إن عدم تحديد الثابت في مؤسسات التعليم القرآني يجعلها تجري وراء سراب استقطاب أكبر عدد من المتعلمين، أو وراء بريق التسويق والترويج كما يروج الصانع لبضاعته، خصوصا إذا كانت هناك مكاسب تنتظره؛ مراكز اجتماعية أو مقامات أو أرباحا مادية ... تبعده شيئا فشيئا عن الغاية الأساسية وعن الصبغة الإسلامية إلى صبغة غير واضحة المعالم؛ خليط هجين، لا هو واضح اللون ولا هو محدد الشكل ولا هو دقيق الوجهة، هذا ما يسمى الانفتاح المخيف، مثل الجري وراء لمعان التجارب الغربية؛ الفنلندية منها واليابانية والسنغورية ... فيستيقظ بعد برهة من الزمن على مدرسة جميلة كثيرة الزينة والزخرفة إلا أنها عديمة الأصل مجهولة الهوية كالمرأة الحسنة في منبت السوء. الثابت يجعل المعالم واضحة والوجه واضحة والصبغة ظاهرة جليلة " فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (الروم:30).

يظهر لنا ختاماً، أن تحديد الثوابت في غاية الأهمية، فهو في النهاية يمثل هوية المؤسسة وتميزها، وضمان

استقرارها واستمرارها.

3 . 2 المتغيرات:

3 . 2 . 1 ما المقصود بالمتغيرات؟

المتغيرات: كل ما يقبل التغيير والتحويل والتبديل والتعديل أو القابلية لذلك، وهو ما يتوقع منه التقلب والتغير، وهو بهذه الخاصية غير قابل للحصر، لأنها نوازل تنزل بالمجتمع أو المؤسسة فتلزمه التغير، فهو في الحين مجموعة مواضيع وبعد حين مواضيع أخرى تنقص وتزيد، وتحديدا لها نقول إنه: كل ما لا يتصف بالثبات فهو متغير، ويمكن تعداد بعض مواضيعه لاحقا.

3 . 2 . 2 ما فائدة المتغيرات:

كما أن للثوابت فوائد على المجتمع والمؤسسات، فإن للمتغيرات فوائد كذلك للمجتمع والمؤسسات، ويمكن اجتهدا أن نضع هذه الفوائد الآتية:

أ. كما أن تحديد الثوابت يحقق للمؤسسة استمرارها ودوامها محافظةً على هويتها وميزاتها، فإن المتغيرات كذلك تضمن استمرارية المؤسسة، من خلال تأقلمها مع المستجدات، ومواكبة التطورات، فإن المتغيرات تعطي للمؤسسة المرونة الكافية لمواكبة النوازل، فإذا كانت الثوابت عاملا أساسيا في المحافظة على الأصالة والهوية، فإن المتغيرات عامل أساسي في الاستمرار ومواكبة المتغيرات والتأقلم مع المستجدات، إذ إن استعمال المشروع لخاصية المتغيرات يتيح له هامشا كبير للمناورة أمام الإكراهات والتحديات.

ب. استغلال خاصية المتغيرات يتيح كذلك للمؤسسة الاستفادة من آليات العصر، فيسخرها لصالحه لتطوير مشروعه وفق الثوابت التي حددها مسبقا، فاختراع المطبعة التي تعد من آليات العصر اعتبرها البعض وسيلة من وسائل الشيطان وحباله لتحريف النصوص المقدسة، في حين اعتبرها البروتستانت جندا أرسله الله لمساعدتهم على نشر الدين في أوروبا، فحاربه من رفضه واستغله من قبله، ثم التحق الجميع بالركب، نفس الأمر يقال على الإعلام الثقيل والخفيف والعام والخاص، ونفس الأمر ينطبق على الشاشات داخل المدارس وخارجها، وكما استغل الإنسان وسائل النقل للتخفيف عن أحماله وتسريع تنقله، عليه أن يستغل الكثير من آليات العصر لتطوير مؤسساته وبلوغ غايته بأقل تكلفة وأقصر وقت.

ج. الأصل في المتغيرات أنها محل اختلاف وفسحة للتعدد والتنوع، فهو يتيح لمؤسسات التعليم القرآني الفسحة في التعدد والتنوع، فإنه يستحيل جمع الناس كلهم على رأي واحد أو اصطفاؤهم خلف شخص واحد أو انتماؤهم إلى مؤسسة واحدة، بل إنه من الممكن جمعهم خلف غاية واحدة، وتفرقهم في مشاريع مختلفة،

والتنوع والاختلاف لا يعود إلى تعدد الغايات وتنوعها، بل إلى اختلاف المتغيرات التي عملوا عليها، وعذروا أو ألزموا أن يعذروا بعضهم بعضا عليها.

فعدم تحديد المتغيرات والتجاوز فيها يجعل كل المواضيع محل حرب ضروس مثل حرب البسوس، أو قريب منها بقليل أو كثير، صدامات وصراعات تستهلك الكثير من الأوقات والأفكار والأموال، وتطرد الكثير من الكفاءات التي تتأى بنفسها عن مثل هذه السجالات الخشنة أو الحوارات الحارقة، الكفاءات التقنية عادة ما تبحث عن أماكن العمل الهادئ وعن الموضوعية بعيدا عن الضوضاء وضجيج النقاشات العشوائية أو الغوغائية، التي تجعل كل الأمور ثابتة، وكل المؤلفات معبودات تتمسح بجدرانها، المتغيرات جاءت لتكون محل تحويل وتعديل وتبديل دائما، تماما مثل الآلات التي تلبى الاحتياجات الحيوية للناس، يستغربونها دهرًا ثم يقتنونها لاحقا، وللوسائل حكم المقاصد.

عدم تحديد المتغيرات يجعل بعض المؤسسات تستنكف عن مسايرة الواقع، فتؤول إلى الزوال شيئا فشيئا في هدوء كبير، حتى تنقرض وتدخل إلى متحف التاريخ، فيقال كان يدرس هنا فلان وفلان، ورحمه الله كان متمسكا بكذا وكذا فذهب مع ما تمسك به، زالت مؤسسات تعليمية لأنها لم ترد مواكبة التغيرات أو لم تستطع، زال وانقرض التعليم القرآني في بعض الدول بفعل القرارات السياسية، وزالت بعض مؤسسات التعليم القرآني بسبب ثبات ما لا ينبغي له الثبات، فانعكس الأمر على الغايات؛ إذ لم تتحقق، فانصرف الناس عنها لأنهم لم يعرفوها، لقد حُجِّبوا عنها بأشكال ورسوم بالية، وحُجِّبوا عنها بلغة بائدة تُخاطب بلغة لا تفهم، أذكر هنا أن المسلمين في فرنسا ناقشوا مشكلة عويصة وهي لغة التعليم في المدارس القرآنية، هل نحافظ عليها بأن تكون عربية فصيحة خالصة؟ أم نساير أبناءنا فندرسهم بنفس اللغة التي يتعلمون بها صباحا؟ نعلمهم العقيدة والفقه وأحكام الحديث بلغة البلد؟ أم نحافظ على اللغة العربية كلغة تعليم؟ طبعاً الإشكال كبير، فقط إذا علمنا أن الحصيلة اللغوية بالعربية لا تكفي حتى لفهم بعض كلمات القرآن التي يحفظونها فكيف تكون لغة تعلم فقه وعقيدة؟ كيف وهم في المدرسة العمومية صباحا يتعلمون الإلحاد بسرعة وامتعة، ويناقدون مواضيع التربية الجنسية والشذوذ واللا دينية بكل عفوية وأريحية، ثم إذا أقبلوا إلى المدرسة القرآنية؛ المنبع الصافي، يصددهم معلم يرفض تعليم العقيدة بغير لغة القرآن، أو معلم لا يكاد يبين فيما ينبغي فيه الإبانة والجاذبة !!! هل الأصل هو لغة التعليم؟ أم الأصل هو غاية التعليم؟ هكذا اختلط المتغير بالثابت، فذهب الثابت ضحية الفكر الصلب الذي لم يتغير.

3. 2. 3 ماذا يمكن أن نعد من المتغيرات؟

ذكرنا سالفاً أن المتغيرات تستعصي على الحصر، فإذا حصرت لم تصبح متغيراً، إنما هي كل ما هو خلاف الثابت، من هذا يمكن أن نعد ما يمكن اعتباره متغيراً، دون أن يكون ذلك حصراً:

أ. الأهداف المرحلية أو الجزئية:

يقصد هنا بالأهداف ما هو دون الغايات، فهي ليست في شمولها وعمومها، إذ الأهداف يمكن أن تكون مرحلية مؤقتة خاصة بمرحلة أو زمن لظروف محددة، أو تكون جزئية لا تشمل كل مواضيع التكوين التي يتعرض لها المتعلم، أو تكون لفئة عمرية محددة، كالتعليم الخاص بالبنات أو التعليم الصيفي، أو غير ذلك.

ب. المناهج والبرامج التكميلية

وهو تلك المواد التي تكون محل اختيار من الإدارة لتكون محل تكوين، فالزيادة فيها والإتقاص، والتوسع فيها والتخصص كله محل مداورة وتعديل دائم، كإضافة مواد خاصة باللغات الأجنبية، أو مواد للتكوين المهني للبنات، أو بعض البرامج الإضافية وهو ما يعرف بالأنشطة اللاصفية التي تحبب المدرسة للمتعلم، وتتيح لها من جهة إدراج بعض الأنشطة العملية التفاعلية خارج أوقات الدوام وبعيدا عن بيداغوجيات التدريس، كتعلم تسلق النخيل أو حصص الفتوى وبرامج تعليم الصلاة أو إضافة بعض ما يطلبه المتعلمون والأولياء، رجاء إغرائهم وجلب أبنائهم إلى المدرسة القرآنية.

نورد على سبيل المثال ما جاء على لسان الشيخ أبي اليقظان، ففي معرض الحديث عن تعدد المواد الدراسية وتنوعها، يذكر الشيخ الكتب التي قرؤها في مجالسهم الأدبية "كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده لصاحبه رشيد رضا، وكتاب نهضة الأمة وحياتها لصاحبه الشيخ طنطاوي جوهري، وكتاب العروة الوثقى للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وكتاب أم القرى وطبائع الاستبداد للشيخ عبد الرحمن الكواكبي وكتاب أريج الزهر للغلاييني، فكان لهذه القراءة الأثر البالغ في ترسيخ الأخلاق ونشر الوعي لديهم بعد اطلاعهم على أحوال المجتمعات الإسلامية" (طاعة، 2023، صفحة 196).

وكذا ما ورد على لسان الشيخ عدون، متحدثاً عن مكانة المواد المدرسة أمام الغايات؛ "قالمواد والفنون التي يزاولها الطالب ويتعاطاها إنما هي وسائل وبواعث يتدرج بها ليكون رجلاً تقياً صالحاً، مؤهلاً للدخول في ميادين الحياة أياً كان نوعها، مجاهداً في سبيل الله طالباً لرضاه ليعيش حياة طيبة أرادها الله له في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" (شريف، 1989، صفحة 68).

ولم تغن هذه الغاية النبيلة الكبيرة، الشيخ عدون ليغفل عن مساهمة المواد التعليمية لسوق الشغل والوظيف وحاجات المجتمع في الاقتصاد والثقافة والسياسة، هكذا يحكي الشيخ عن الاضطراب إلى التعديل في المواد الدراسية ليتمكن الطلبة من المشاركة في امتحانات الشهادات الرسمية المختلفة: "كان الطلبة بعد تخرجهم في المعهد بعد خمس سنوات أو ست، يتوزعون على الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية حسب مؤهلاتهم وكفاءاتهم فيسدون فيها فراغا كبيرا كان ينتظرهم من غير حاجة إلى شهادة تثبت مستواهم، فلما جاء الاستقلال وانتظم التعليم الرسمي، وانفتحت أبواب الإدارات العامة والوظائف المختلفة في وجه المتخرجين، اضطر إلى شيء من التعديل في المواد والمناهج ليساير التعليم الرسمي في أكثر مواد ومناهجه، ليشترك طلبته في امتحان شهادة الأهلية في التعليم المتوسط، وشهادة البكالوريا في التعليم الرسمي" (شريف، 1989، صفحة 66).

ج . استراتيجيات التدريس

وهي المقاربات التي تتبناها المدرسة من التعليم النشط، أو التعليم التفاعلي، أو القسم المقلوب أو غير ذلك، تبعا لضرورات الجيل أو لتقنيات التدريس المتطورة، أو تبعا للطوارئ النازلة كالفتن التي مرت بها الجزائر في التسعينات أو التي مر بها وادي مزاب في خصوصا، أو كوباء كورونا الذي اجتاحت العالم، والذي يفرض تغييرا في عديد من الاستراتيجيات.

د . الوسائل التعليمية

وهي كل الوسائل التي من شأنها أن تساعد المدرسة على مواكبة التغيرات المجتمعية التي خاضت فيها المدارس العمومية والخاصة، أو تساعد على استغلال آليات العصر وتقنياته التكنولوجية، كوسائل التواصل بين المؤسسة والمتعلمين وأوليائهم، أو وسائل الإيضاح والتفاعل داخل القسم، مما يعد من المتغيرات الدائمة التي لا يمكن أن تحجر المؤسسة معلمها وإداريها على مواكبتها.

هـ . التسيير والتنظيم الإداري والمالي

ويقصد به اللوائح التنظيمية التي ترتضيها المؤسسة لتسيير شؤونها، تضييقا وتوسيعا تخصيصا وتعميما حسب قدرتها وحسب رغبتها، فبعض المؤسسات وضعت فاصلا تنظيميا بين مؤسسات البنين والبنات، وبعض المؤسسات فصلت في البنات ولم تفصل في الإدارة، وخصوصا عند ازدياد عدد المتعلمين، وبالتبع فروع المؤسسة وإطاراتها، فبعض المؤسسات تعد تلاميذها بالآلاف ومعلميها بالمئات، فارتضت أن تستعمل آليات التسيير الحديثة، ولكل مؤسسة رؤيتها للتسيير والتنظيم.

ونفس الأمر يقال بالنسبة للأمور المالية، فهناك من يشرك الآباء في تحمل جزء من أعباء المؤسسة المالية وتبعاتها، وهناك من يحملهم كل الأعباء المالية، وهناك من اتخذ من المجانية طريقا إلى ذلك، وبذل بالمقابل جهودا جبارة لضمان استمرار تدفق أموال المحسنين مع صعوبة الأمر، وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بالإدارة والتسيير، إذ نتج عن ذلك وضع اشتراكات مرتفعة أو منخفضة أو كان التعليم مجانا بالكامل.

و . الترتيبات الرسمية والقانونية

يجمع القائمون على أمور التعليم القرآني، أن الإكراهات القانونية لا مفر منها، وهي من الأمور التي لا دخل لهم فيها، ولا إمكان للتغافل عنها، سواء تعلق الأمر بالعهد الاستعماري في كل فتراته ومع كل قوانينه الجائرة، أو كان ذلك بعد الاستقلال مع ظهور الدولة الحديثة، ومع كل خياراتها الاشتراكية أو الأحادية أو التعددية، وقد مرت الإشارة سابقا إلى أهم التغيرات القانونية، والتي ألقت بظلالها على التعليم القرآني، كرها وجبرا لا طوعا واختيارا. فهذا الشيخ الحاج صالح لعلّي، اختار أن تكون مدرسته الجديدة بجوار المسجد من أجل الاستغناء "عن الحصول على رخصة من السلطات الفرنسية استنادا إلى القانون الفرنسي القاضي بعدم فتح مدرسة حرة إلا برخصة وشروط، فالانضواء تحت المسجد كفيل بهذا" (بن دريسو، 2014، صفحة 127).

وإلى نفس الفكرة اهتدى الشيخ أبو اليقظان، فقد أسس مدرسته: في وقت كان فيه الحكم العسكري الفرنسي يراقب ويمنع أي تعليم يظهر خلاف تعليمه، ويمنع فتح المدارس العربية غير المرخص لها، وقد استثنى من ذلك الكتاتيب التقليدية التابعة للمساجد ... فاتخذ الشيخ احتياطاته حتى لا يلحق بها الأذى، ومن بين ما اتخذهُ أبو اليقظان أنه لم يجهز المدرسة بالطاولات والكراسي واكتفى بالحصير، فإن داهمه المستعمر وجدهم ... كسائر الكتاتيب" (الشيخ بلحاج، 2014، صفحة 499).

وهؤلاء مؤسسو المدرسة القرآنية بملكية العليا، فرغم مرور عامين ونصف على انطلاقها إلا أنهم اضطروا للسعي من أجل الحصول على رخصة من الحاكم الفرنسي من أجل حمايتها، "فكان لزاما عليهم مسابقة ذلك الوضع باستصدار رخصة رسمية لمزاولة نشاطها وضمان لاستمراريتها أمام أمثال هذه القوانين المجحفة، فقدموا طلبا لذلك في فاتح أوت 1924 ... إثر ذلك صدرت مراسلة من الوالي العام بالجزائر إلى الحاكم العسكري لمناطق الجنوب بالأغواط بتاريخ 9 سبتمبر 1924 تتضمن الترخيص في مواصلة النشاط التعليمي لمدرسة آت مليشت باسم أحد المعلمين بها وهو الفاضل أحمد بن قاسم بن أحمد، ليكون افتتاحها للموسم الدراسي لسنة 1924 بصفة قانونية" (باعمارة، 2022، صفحة 85).

ز . الهياكل والمقرات وأماكن وجودها

ويقصد به أماكن التدريس، إذ المعروف والملتصق بمخيلة العامة، أن التعليم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد، وبالتالي يصعب تعديل ذلك أو تغيير المكان، إذ الابتعاد عن المسجد يوحي بالابتعاد عن الدين ورموزه، لهذا كانت المعارضة دائماً حاضرة لأي جديد حتى لو تعلق الأمر بمكان التدريس، بله الطرق والأساليب والأساتذة، فتعليقاً على فتح ممر يربط محضرة المسجد بالدار الجديدة خارجه والمخصصة للتعليم، يقول الأستاذ مصطفى بن دريسو: "من خلال هذه الرابط البسيط، استطاع الشيخ صالح لعل أن يحل عدة إشكالات كانت جد معقدة ومستعصية آنذاك... [فقد] فسح المجال للطاقت الفاعلة من الأساتذة . ولو من غير أعضاء الحلقة . في الدار الجديدة من الاجتهاد في تطوير التعليم، وتحسين الأداء التربوي في حرية تامة" (بن دريسو، 2014، صفحة 127).

ح . التوقيت والتوزيع الزمني:

وهو الحجم الساعي المخصص للمواد ومختلف الأنشطة، فهو دوماً بين مد وجزر، تأخذ المادة هذه حقها فإذا استوفت تركت المجال لمادة أخرى، وتكون هذه صباحاً فإذا اقتضت الإدارة بغيرها حولتها إلى المساء، فالتوقيت متغير واضح في كل المنظومات التعليمية، تحافظ على المواد مضمونها وتسمية، وتختلف في محتوياتها وحجمها تضيقاً وتوسيعاً، حسب مقتضيات الظروف المكانية والكفاءات المتاحة والأوقات المخصصة.

يمكن الخلوص إلى هذه القواعد:

1. دائرة الثوابت أضيق لكنها أكثر صلابة
2. دائرة المتغيرات أوسع لكنها أكثر مرونة
3. الثوابت يمكن حصرها وعدّها
4. المتغيرات يمكن عدّها لكن لا يمكن حصرها
5. تغير الثوابت يفقد الأصالة بل الهوية
6. ثبات المتغيرات يفقد المواكبة والتأقلم مع المستجدات
7. كلما اتجهنا إلى الثوابت كلما زاد الاتفاق بين المدارس
8. كلما اتجهنا نحو المتغيرات زاد الاختلاف بين المدارس

4 . محطات الاضطراب التي مرت بها المدارس القرآنية:

نقصد بمحطات الاضطراب؛ تلك التغيرات المجتمعية التي نزلت على مؤسسات التعليم القرآني بسبب عوامل داخلية أو خارجية، فأثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على التعليم القرآني، مما جعل إدارات المؤسسات والهيئات العرفية تتخبط في نقاش وحوار وتجاذبات، رجاء المحافظة على أصالة المجتمع ومؤسساته، ورجاء مواكبة التغيرات، وبقدرا كان هذا التجاذب ظاهرة صحية، يخبر عن حرص العديد من الفاعلين على المدرسة القرآنية ودورها، بقدر ما أهدرت الكثير من الطاقات والأوقات والأفكار والمشاعر، في غيرما فائدة، إذ كان المطلوب أحيانا الاتفاق على ما فيه سعة في الاختلاف والتنوع، أو كانت النتيجة تجريح أو تخوين لتجارب ومشاريع خالفت المألوف وحافظت على الغايات والأسس.

نذكر بالمناسبة بعضها على سبيل المثال لا الحصر، ونصوغها على شكل أسئلة تلخص النقاش المجتمعي والمؤسساتي، منها:

أ . الإطار القانوني:

- ما حدود تدخل الوصاية في تسيير التعليم القرآني؟
- ما الصيغ القانونية الممكنة للتعليم القرآني؟

ب . الأهداف:

- هل هناك فرق في المواد التي تدرسها الأنثى والتي يدرسها الذكر؟
- ما المستوى التعليمي الذي يمكن أن تصل إليه البنت في المدرسة الحرة؟
- هل تسمح المدرسة الحرة للبنت بالمشاركة في الامتحانات الرسمية، وبالتالي يمكن لها دخول الجامعة وولوج عالم الشغل؟
- هل يمكن فتح أقسام لتعليم القرآن للبنات اللاتي يدرسن خارج المدارس الحرة؟ أم يُعد ذلك تشجيعا لهن؟

ج . التسيير والتنظيم:

- ما المواصفات الواجب توفرها في المدرسين؟
- هل يقبل أن تواصل المرأة المتزوجة دراستها بعد الزواج؟ وما حدود ذلك؟
- هل يقبل أن تقوم الأنثى بالتدريس وخصوصا بعد زواجها وما حدود ذلك؟
- هل يكون التعليم بمقابل يدفعه الولي كاشتراك تدرس أم لا؟

- ما حدود مفاوضة معلم القرآن الكريم والعلوم الشرعية على أجرته؟ أم أن ذلك حكر على المواد الأخرى؟

د . المواد المدرسة:

- ما حدود تدريس المواد غير الشرعية؟
- هل تعليم المهن من مهام المدرسة أم من الخيارات الشخصية للبيت والعائلة؟
- هل يفسح المجال للأنشطة اللاصفية ودروس الدعم للتلاميذ في المدارس القرآني؟

هـ . الاستراتيجيات وطرق التدريس:

- هل يكون تحفيظ القرآن باللوح الخشبي أم يمكن تجاوز ذلك إلى الكتابة في الكراس؟
- هل يمكن تجاوز الكتابة والاكتفاء بالحفظ مباشرة من المصحف؟
- هل يجب أن يكون الحفظ بالترتيل أم يكفي بالطرق التقليدية والتركيز على الحفظ دون الترتيل وأحكامه؟
- ما حدود استعمال الوسائل الحديثة مثل السبورات الذكية وأجهزة العرض؟ أم أنك ذلك حكر على المواد العلمية؟

رغم ما يظهر من أن بعض الأسئلة تافهة أو من مسلم بجوابها، إلا أن النقاش يظل واردا فيها، بصوت مرتفع أحيانا وبصوت خافت أحيانا أخرى، وما المسار التاريخي للتعليم القرآني وتجاذباته ونقاشاته الخشنة إلا مثال واضح على ذلك، وإيراد الأسئلة هنا ليس من باب الحصر بل من باب التمثيل عن مواضيع مختلف فيها؛ أحيانا إلى حد الخصام وأحيانا إلى حد الافتراق، والواقع كفيل بتوصبة هذا وتخطئة ذاك.

5 . نتائج الدراسة:

- بعد هذه الدراسة التحليلية النقدية لمسار التعليم القرآني في وادي مزاب، وفي تفاعله مع الكثير من التغيرات الاجتماعية، وبعد وضع مفهوم للثابت والمتغير وتبيان أثرها، يمكن أن نخلص في إلى النتائج الآتية:
1. المؤسسة التعليمية أيا كانت، لا بد وأن تتأثر بالتغيرات المجتمعية، أرادت ذلك أم لم ترد، والواجب عليها أن تعي هذه التغيرات وتسعى دوما إلى مواكبتها واليقظة من التغيرات التي يمكن أن تعصف بوجودها.
 2. لموضوع الثابت والمتغير أهمية كبيرة في تحديد مسار المدرسة القرآنية والمحافظة على أصالتها، واستمرارها وديمومتها، مواكبة للمتغيرات وتأقلا مع الإكراهات، واستفادة من كثير من الآليات الحديثة؛ تقنية كانت أو تنظيمية.

3. يمكن أن نحدد أن الثابت في مؤسسات التعليم القرآني في واد مزاب يتمثل في: الغايات والأسس والمنطلقات، وكذا المضامين التي تضمن الصبغة الإسلامية الجزائرية بالخصوصية الإباضية.
4. يمكن القول إن المتغيرات كثيرة لا يمكن حصرها، وهي كل الوسائل التنظيمية أو المادية التي يمكن استغلالها لبلوغ الغايات التي حددها التعليم القرآني.
5. وجب إدراك الفرق بين الثابت والمتغير واستغلال ذلك في تطوير التعليم القرآني والمحافظة على أصالته.
6. موضوع الثابت والمتغير، يطرح بإلحاح خلال كل المحطات الحرجة التي يمر بها التعليم القرآني، وقد أعطينا أمثلة عن هذه المحطات الحرجة التي أربكت التعليم القرآني.

6 . التوصيات العملية:

- يمكن الخلوص في الختام إلى مجموعة من التوصيات العملية:
1. وجب على مؤسسات التعليم الديني القرآني العمل على تحديد هويتها، من خلال صياغة الرسالة والرؤية والقيم وكذا الغايات والأسس والمنطلقات.
 2. العمل على زيادة الجاذبية والتنافسية لمؤسسات التعليم القرآني أمام المشاريع الموازية، باستقطاب الكفاءات، والاهتمام بالإعلام والتسويق، وتطوير أنظمة التسيير والتنظيم.
 3. الاهتمام بالمواضيع المستجدة والنوازل الفقهية والفكرية مثل؛ الإلحاد، التيارات المادية، النسوية، الشذوذ، أنواع الإدمان؛ المواد الإباحية، شبكات التواصل، الألعاب الإلكترونية، المخدرات ... وإدماجها ضمن مناهجها وبرامجها وأنشطتها.
 4. التنسيق بكفاءة وفعالية بين مؤسسات التعليم الديني القرآني، للانتقال من التنافس إلى التكامل والتعاون بين المشاريع، وتقادي الفراغات المكانية والزمانية والموضوعاتية.
 5. استشراف مستقبل التعليم القرآني خصوصا، والتحديات التي تواجه الأنظمة التعليمية عموما، من خلال بحث المواضيع الآتية:

- مأزق المدرسة كمؤسسة اجتماعية، مقابل اكتساح وسائل الإعلام وشبكات التواصل لكل الميادين
- الوسائل التكنولوجية المستعملة في التعليم القرآني وأثرها على مهارات التفكير وتحصيل العلوم
- ازدياد عدد الكفاءات العلمية وأصحاب الدرجات العلمية ودورهم في تطوير التعليم القرآني
- مصادر التعلم المفتوحة مقابل المصادر المغلقة داخل مؤسسات التعليم الديني القرآني
- التنافس المتزايد بين مشاريع التعليم القرآني، وانعكاس ذلك على تسيير التعليم القرآني ومخرجاته

خاتما:

إن مؤسسات التعليم الديني والقرآني، من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعمل على نقل القيم والمعتقدات من جيل إلى جيل، بل هي أهمها ولا نبالغ، وهي الآن في هذه الألفية تعيش انفتاحا مخيفا، يمكن أن يعصف بها كما يمكن أن يزيد لها صلابة في بنائها وفعالية في أهدافها، لذا وجب العمل على نقدها وتطويرها وتفعيلها، لتواكب التغيرات وتبقى قلعة حصينة، تحافظ على مقومات المجتمع المسلم، وعلى الأمن الفكري والعقدي لكل أبنائه، ولن يتأتى ذلك إلا بالنظر إليها على أنها مؤسسة وجب أن تواكب تطورات عصرها وتستفيد من كل منتجاته، وتكون مؤسسة تمتاز بالجاذبية الكبيرة تجاه أبنائها، والفعالية بالنظر إلى أهدافها وغاياتها وآلياتها المستعملة، وأرجو أن تكون هذه الورقة قد أجابت عن أهم هذه التطلعات، وأضافت إنتاجا معرفيا مفيدا في التعليم الديني القرآني.

قائمة المراجع والمصادر:

1. القرآن الكريم
2. الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى (الشيخ القراي)، 2009، أعراف وعادات وادي ميزاب، تحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد، نشر جمعية النهضة، غرداية الجزائر.
3. الشيخ بلحاج قاسم، 2015، معالم النهضة الإصلاحية في وادي ميزاب، وزارة الثقافة، الجزائر.
4. الشيخ بلحاج قاسم، 2017، تعليم المرأة في وادي ميزاب نشأته وتطوره، طبع العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر.
5. باعمارة سليمان بن باحمد وباعمار بكير بن سليمان، 2022، المدرسة القرآنية بآت مليشت (مليكة العليا) الحلقة الأولى من سنة 1922 إلى سنة 1938، مكتبة السلف آت مليشت، غرداية الجزائر.
6. بكلي عبد الرحمن، 2003، فتاوى البكري، تحقيق داود بن عيسى بورقيبة، مكتبة البكري العطف، غرداية الجزائر.
7. بكلي عبد الرحمن، 2004، مسيرة الإصلاح في جيل، مكتبة البكري، غرداية الجزائر.
8. بن دريسو مصطفى، 2014، أعمال اليوم الدراسي حول حياة الشيخ الحاج صالح لعللي، نشر مكتبة الحاج صالح لعللي، بيني يسجن، غرداية الجزائر.
9. بن منظور، لسان العرب، 2024/04/18، الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة

10. جريدة عميرة، 2011، إشكالية التوزيع السكاني في الجزائر إشكالية التوزيع السكاني في الجزائر، مجلة الباحث تصدر عن المدرسة العليا لألساتذة بوزريعة _ الجزائر، العدد الخامس، صفحات 191
11. حامد خالد، 2018، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر.
12. شريف سعيد (الشيخ عدون)، 1989، معهد الحياة نشأته وتطوره، المطبعة العربية غرداية، الجزائر.
13. طاعة مصطفى، 2023، إسهامات أعلام منطقة مزاب في الحركة الفكرية والسياسية بالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830م - 1954م، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، الجزائر.
14. ناصر محمد، 2003، تاريخ صحف أبي البقظان، دار هومة، الجزائر.
15. ناصر محمد، 2016، القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب، مجلة الحياة الصادرة عن معهد الحياة القرارة . الجزائر، صفحات 70 إلى 86.
16. مؤسسة الشيخ عمي سعيد، 2023 بطاقة تعريقية عن المؤسسة.
17. وزارة التربية الوطنية، عدد خاص فيفري 2008، القانون التوجيهي للتربية الوطنية المؤرخ في 23 جانفي 2008.